حسين باشا الطراونة

السيد مهند أحمد مبيضين

* **المواقف... والأفكار:**

حسين بن محمد بن جبريل الطراونة، (١٨٩٢هـ/١٨٧٥م - ١٣٧١هـ/١٩٥١م)، وُلد في الكرك، وبها نشأ، تلقى تعليمه الأولي على يد الشيخ محمد القصراوي، ثم تابع دراسته في اسطنبول، حيث أتقن التركية هناك، واختص في أمور القضاء، كان شيخاً لمشايخ عشائر الطراونة، وزعيماً لتجمع العشائر الكركية (الشراقا)[١]، تقلد خلال حياته عدداً من المناصب، أولها عضويته لمحكمة بداية الكرك عام ١٩٠٢م، ثم رئيساً للبلدية. حصل على لقب أمير لواء فخري، وقلّده السلطان عبد الحميد عدداً من الأوسمة تقديراً لجهوده المخلصة.

كان حسين باشا في مسيرته أردنياً عاش نبض الأرض والناس، يسمو بوطنيته التي تميّزت بضرورة إخراج الأردنيين، من عباءة الجهوية والعشائرية، إلى العباءة الأردنية الواحدة، فكان تناديه مع رجالات الأردن وأحراره إلى مقهى حمدان في العاصمة عمّان بتاريخ ٢٥ تموز ١٩٢٨م، لعقد المؤتمر الوطني الأردني الأول، الذي بقيت قراراته ميثاقاً وطنياً لسنوات عديدة من تاريخ الحركة الوطنية الأردنية[٢].

شهد هبّة الكرك عام ١٩٠٩م، وهي من المحاولات المُبكرة للاستقلال عن السلطة العثمانية.

وكان قد أبدى عدم رغبته لمثل هذا التوجه، فاختار الخروج من المدينة عشيّة الحركة "وذهب هو وعطا الله السحيمات للحاكم وقال له: شايف انه يوجد حركات، قال الحاكم: لا يوجد قيمة لها، قال حسين: لسنا معهم، وكتب إلى القائد العسكري في ذلك، وبعد ثلاثة أيام بدأت الثورة..."[٣]. إن مثل هذا الموقف لا يُؤخذ من جانب عدم رضاه على أعمال أبناء المنطقة وتطلعاتهم، بل تكشف عنه أوراقه التي تُبيّن عدم قبوله إجراءات الإعداد للحركة التي كانت نتائجها كبيرة

وقاسية على السكان[٤]، وذهب هو وعطا الله السحيمات إلى (قدر المجالي) وسألوه عن تمويل الحركة، فقال لهم: "اليوم الأول من رجال الثورة يكون طعامهم معهم، اليوم الثاني، يأخذوا من التجار، واليوم الثالث ينهبوا الأغراب والمسيحيين..."[٥].

ثم أنه لم يكن يعتبر أن هناك نجاحاً لمثل هذه الحركة ما لم يتوفر لها دعم واتصال مع دولة حليفة، تقوم بالاعتراف المباشر بالحكومة المستقلة، ولهذا لم يُخفِ تساؤله أمام (قدر المجالي) عن مثل هذا الموضوع: "... ولمّا ذهبنا إليه سألناه عن الدول التي راسلها لكي تعترف به، فأجاب بأنه لم يُراسل أحد... "[٦].

ولمّا انتهت الحركة، أخذ حسين باشا الطراونة يُفكر بضرورة تحقيق العدل والمساواة لأبناء منطقته، فتدخل من أجل تخفيف العقوبات عن زعمائها الذين أُخذوا إلى دمشق للمحاكمة، لكن ذلك لم يُجدِ شيئاً، ومع بداية الانهيار العثماني، وتحول الأماني العربية بالتحرر إلى مشروع دولة مستقلة بمراسلة أشراف الحجاز، كان من أوائل الذين استقبلوا الأمير عبد الله بن الحسين شرقي الكرك في منطقة القطرانة[٧]، وبعد تأسيس الإمارة وبداية الإعداد للدولة الأردنية الحديثة، استمر بالنضال من أجل استقلال البلاد، فما كان منه إلا أن أبرق إلى رئيس الوزراء البريطاني بتاريخ ٢١ حزيران ١٩٢٩م، محتجاً على توقيع المُعاهدة الأردنية-البريطانية والتصديق عليها، وجاء فيها: "... وحيث إن الطريقة التي اتبعت للحصول على التصديق من أعضاء المجلس نراها مُخالفة للأصول... فالتصديق بهذه الصورة يُعدُّ لاغياً. وإننا نكرر احتجاجنا على التصديق الذي جرى... ضد إرادة الشعب، ونُطالب بتعديل الاتفاق الجائر بصورة موافقة للعدل ولوعود بريطانيا العُظمى للعرب..."[٨].

أما المؤتمر الوطني الأردني وحركته، فإنه عمل من خلاله على التأكيد على استقلالية إمارة شرق الأردن ودستورية الحكم وعدم الاعتراف بالإنذار ورفض وعد بلفور...[٩]، وفي هذا السياق يمكن النظر إلى مواقفه الرافضة

لإقامة أي نوع من العلاقات الاقتصادية مع زعماء الحركة الصهيونية، خصوصاً عندما نشرت صحيفة (هآرتس) اليهودية خبراً عنونته "**زعماء عشائر الأردن في القدس**"، أشارت فيه إلى لقائهم الرئيس وايزمن في حفل بفندق النبي داوود بتاريخ ١٠ حزيران ١٩٣٣م[١٠]، وبعد ثمانية عشر يوماً جاء نداء حسين الطراونة للشعب الأردني يقول فيه: " وفي الحق إنها لجُرأة وافتئاتٌ عظيم على حقوق البلاد أن يتستر هذا النفر في كل مرة بستار المؤتمر الاقتصادي وأن يُسارع في كل مرة بالاجتماع إلى (وايزمن) في بيت المقدس ويدعون إلى مواصلة السعي إلى إحكام الروابط مع شرقي الأردن "[١١].

إزاء ذلك، وفي سياق المحافظة على الأراضي الأردنية ووحدتها، ورغم علاقاته الطيبة مع الشيخ (كليب الشريدة) وحضوره لقاءاته المتكررة مع شيوخ الأردن[١٢]، فإنه رفض فكرة الحكومات المحلية مؤكداً على سلامة الإطار السياسي الأردني العام بقوله في أحد اللقاءات مع (كليب الشريدة) عندما سأله عن البيعة، قال حسين: "أنا على البيعة، لكن النظام نحن اخترناه، وبايعناه ولا نقبل بدويلات في المناطق المختلفة من الأردن"[١٣].

أما قضية فلسطين، فقد أكد على شموليتها، وضرورة سعي الأردنيين إلى حلِّها، " نحن عرب الشرق القاطنين وراء النهر، والبحر الميِّت، لا يسعُنا إلا أن نركض عند مسيس الحاجة لنُصرة إخواننا في الدين، واللغة والجنسية... "، جاء ذلك في البيان الذي صدر عن اجتماع زعماء الأردن احتجاجاً على قرارات مؤتمر سان ريمو ١٩٢٠م، للتأكيد على عدم فصل فلسطين عن قضية سوريا الكُبرى المُتحدة[١٤].

لم يكن حسين الطراونة ليُنصّب نفسه للدفاع عن فلسطين، بل إنه كان مُعتقَد الخاصّة والعامّة من الناس، الذين رأوا بجهوده وإمكانية أداء دور فاعل، فكتب إليه الشيخ أمين الحسيني، رئيس المؤتمر الإسلامي العام بتاريخ ١٢ رجب

١٣٥٠م " ونرجو من حضرتكم أن تبذلوا الجهد في إتخاذ الوسائل الضرورية للدعاية لمشروعات المؤتمر قدر الاستطاعة "[١٥].

* **الأوراق... والسيرة:**

تُقدِّم أوراق حسين الطراونة[١٦] مادةً تاريخيةً هامةً حول تاريخ الكرك الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، ففي مجال الاهتمام العثماني بمنطقة الكرك، جاءت رسائل الدولة العثمانية المُتكررة له، التي انتهت بتعيينه رئيساً لبلدية الكرك، وتُشير هذه الوثائق (التي كتبت بلغة عثمانية) إلى مجموعة من الإجراءات الإدارية في متصرفية الكرك، والقرار العثماني بتعيين حسين باشا رئيساً للبلدية عام ١٣٢٨هـ/١٩١٠م[١٧]. وهناك رسالة من حاكم الكرك بتاريخ ١٠ مُحرّم ١٣٣٧هـ/١٩١٨م، جاء فيها "بحسب صلاحيّاتي الواردة، أبلغ تعيينكم عضواً لمحكمة البداية، والأمل وطيدٌ بأن تروا مصالح العباد على مناهج الحق والعدل حتى نذهب بملتنا المحبوبة إلى أوج الرقي والسعادة، راجياً من الله أن يوفقكم..."[١٨]، وبعد قيام الثورة العربية، اختير حسين باشا ليكون " في لجنة التحرير التي شُكّلت في مقاطعة الكرك بمخصصات مقطوعة قدرها عشرون جنيهاً شهرياً"[١٩].

وقف حسين باشا إلى جانب مشروع الاستقلال العربي بعدما استنفذت جميع محاولات إصلاح السياسة التركية الاتحادية، وبعد اتصالات مُكثفة بينه وبين قادة جيوش الثورة العربية جاءت موافقة بشكل يتناسب مع دوره ومكانته الاجتماعية في منطقته. ولا تُقدّم الأوراق والوثائق ما يُفيدنا بأن حسين الطراونة قام بأية مُراسلات لقيادة جيوش الثورة، بل إن موافقته على دعمها والمُساهمة فيها، جاءت بعد أول رسالة وُجّهت له من الشريف زيد بن الحسين بن علي، عندما وصلت الجيوش العربية إلى الطفيلة، فكتب إلى حسين باشا يقول: "أما بعد، فأُخبرك وأنصحك بهذا الكتاب أنك تقوم فيما ينوبك من الحمية والشيم لبلادك خاصة، وبلاد العرب عامة، وتكون أحد الذين ستُذكر أسماؤهم في تاريخ

الإسلام، ولا تتبع أشوار الذين ليس يُريدون إلا ما ينفع شخصه ويُضر الجميع، واعلم وتيقّن إن لم قمتم بما ينوبكم ويُخلص بلادكم مما هي حاصلة عليها من عدو الدين الإسلامي، وإلا العرب حاضرين لخلاص بلادكم وجميع البلاد"[٢٠]، ولم يُخفِ الشريف زيد تخوّفه من عدم قبول حسين باشا بمساندة الثورة وجيوشها، فأكّد عليه بضرورة القيام بدور فاعل لصالح الاستقلال، وقال: " والجواب منك مُنتظر، ولا حررنا هذا إليك إلا كي تسلم من اللوم في المستقبل، والسلام..."[٢١].

وكان الشريف فيصل بن الحسين بن علي، قائد الجيوش الشمالية للثورة العربية، قد أرسل إلى حسين باشا رسالة قال فيها: "... بعد السلام، هذا عن الشيخ (غيث بن هداية) حررته مع أنني لم آخذ منكم ولا خط (أية رسالة) ولكن مما يأتينا من أخبار جهتكم يجعلنا مسرورين لما أبديتموه من الحسيّات، ولذا حرر ولإعلامكم ثانية بأنه في أمد قريب ستسمعون إن شاء الله ما يرفع رأس كل عربي... فلا أريد منكم أن تكونوا من جملة من ينطبق عليه قوله عز شأنه (ولا تكونوا من الذين قعدوا مع الخوالف)، وباقي الأخبار يعلمكم بها حاله..."[٢٢].

ومما يُؤكّد عدم مراسلة حسين الطراونة لقيادة جيوش الثورة، كلام فيصل ابن الحسين بقوله "ولذا حرر مع أنني لم أخذ منكم ولاخط، ولكن ما يأتينا من أخباركم يجعلنا مسرورين"، وكان فيصل قد أرسل بعد هذه الرسالة بتاريخ ٢٧ مُحرّم ١١٣٧هـ/١٩١٨م، خطاباً إلى عموم مشايخ عشائر الكرك الشراقا جاء فيه: " بعد السلام عليكم ورحمة الله، أخذنا كتابكم وسررنا بما أبديتموه من الغيرة والحميّة التي فُطرتم عليها وأظهرتموها الآن إلى حيّز العمل "[٢٣].

هذه الرسالة حملت الشكر إلى مشايخ الكرك من قِبل فيصل بن الحسين والذي أرسل رسالة خاصة إلى حسين الطراونة بتاريخ ٢٠ مُحرّم ١٣٣٧هـ/١٩١٧م، أكّد فيها على ضرورة تعاون الجميع لمصلحة الأمة وبناء

الدولة، قال: "وأشكركم من المظفرية التي وفقنا الله بها، وأسأله أن يوفّق العرب ويجمع كلمتهم على إعلاء كلمة الإسلام"[٢٤].

السؤال المطروح في سياق هذه الأوراق والسيرة، لماذا هذه المُراسلات بين قادة الجيوش العربية وحسين باشا الطراونة؟ ! يُجيب على هذا السؤال الرسائل التي بعث بها الشريف علي بن عريد الحارث الذي عُيِّن أميراً للكرك من قيادة الجيوش العربية بعد انتصار الثورة في معان، وذلك لأن حسين باشا كان قد اتصل مع السلطة العثمانية، وجرى الإتصال معه لضبط جميع الأوراق الرسمية والسجلات التركية "الداعي جرى تعيني أميراً للكرك من نيابة القيادة العامة، فعليه بلغني ضبط أوراق وسلاح وأدوات الترك الذين في الكرك..."[٢٥].

بعد نجاح الثورة وخروج الأتراك، تبودلت الرسائل بين فيصل بن الحسين في مقر الحكومة العربية في دمشق، وحسين باشا الطراونة[٢٦]، الأمر الذي مهّد فيما بعد لعلاقة وطيدة جمعت بين الأمير عبد الله بن الحسين وحسين الطراونة، ومجموع هذه الرسائل يُبيِّن عدداً من القضايا التي عاشتها منطقة الكرك، ومنها الانتخابات التي جاءت رسالة الأمير عبد الله من أجلها بتاريخ ٥ مُحرّم ١٣٥٠هـ/١٩٣١م "بعد السلام، لقد ساءنا جداً ما بلغنا أخيراً أن مسألة الانتخاب في الكرك قد كادت أن تؤدي إلى صدع الائتلاف الذي سعينا إليه..."[٢٧]، وفي مثل هذه الرسالة تأكيدٌ على وضع الطفيلة وموقعها من التمثيل الانتخابي في المنطقة، وضرورة ارتباطها مع الكرك، وإسهام أهلها في مسيرة الوطن.

وأثناء حركة (ماجد باشا العدوان)، كانت الأخبار قد وصلت إلى الأمير عبد الله عن تأييد حسين باشا لها، فكتب إليه رسالة جاء فيها: "بعد السلام،... وإخلاصكم مشهود واختصاصكم غير مجحود والناس لا يتركون أحد دون مقال... وأن ذلك الشخص (ماجد العدوان) ومن كانوا معه وأنا لم يكن مني لهم ولغيرهم إلا الخير... وأن العداء الموجه للرئيس يشمل المرؤوسين كافة..."[٢٨].

وتُشير الأوراق إلى تبادل الهدايا بين الأمير عبد الله وحسين الطراونة، فقد بعث الأمير عبد الله بتاريخ ١٢ آذار ١٩٣٦م رسالة تحمل هدية منه إلى حسين الطراونة، جاء فيها: "حضرة الوجيه حسين باشا، تحية واحتراماً، وبعد، فنرسل إليكم بالبريد صندوقاً صغيراً ضمنه (القديمي) خنجراً تفضّل بالإنعام به على نجلكم حضرة صاحب السمو الملكي إعراباً عن رضائه عنكم"(٢٩). وقدّم حسين باشا من جانبه هديةً أرسلها مع ابنه عبد الوهاب إلى الأمير عبد الله بتاريخ ١١ آذار ١٩٥١م، وكتب له الأمير عبد الله رسالة شكر عليها " لقد سُررتُ بالفرس التي قدّمها ولدنا عبد الوهاب وستكون إن شاء الله من الركائب الخاصة..."(٣٠).

لقد شكّل حسين الطراونة إلى جانب عددٍ من رجالات الأردن، حالةً وطنيةً مُبكّرةً، أدركت مخاطر الهيمنة وضرورة الاستقلال مُتسلحين بوعي التحرر وعبء الوطن، وضرورة الإعداد إلى بناء الدولة الحديثة بشكل يتناسب مع طموحات الشعب والإدارة السياسية، وظلّ يُقاوم كل ما مِن شأنه تهديد وِحدة الأردن، وأكّد على ربط قضية فلسطين مع سوريا الكبرى، مُشيراً إلى أن الأردنيين اختاروا مستقبلهم السياسي ونظامهم، الأمر الذي اقتضى منهم ضرورة الوقوف وراءه ودعم استقلاله والحفاظ على وحدة أراضيه وعدم التفريط بها.

الهوامش

١. ضم حلف الشراقا، عشائر الصرايرة والطراونة والقطاونة والنوايسة والغساسنة بفروعهم (المبيضين والصعوب والعضايلة والسحيمات والجراجرة، ويتبع لهم الكركيون والبنويّون والبواليز)، انظر فريدرك بك، تاريخ شرق الأردن وقبائلها، شرحه بهاء الدين طوقان، الدار العربية للنشر، ص٣٥٢، (وسيُشار له فيما بعد هكذا: فريدرك، تاريخ) جريدة مُؤاب، جامعة مؤتة ٢١ آذار ١٩٩٤م، العدد ٢٢ ؛ انظر : مذكرات عودة القسوس، مركز الوثائق التاريخية، الجامعة الأردنية، عمّان.

٢. علي محافظة، الفكر السياسي في الأردن منذ بداية الثورة العربية الكبرى حتى نهاية عهد الإمارة (١٩١٦-١٩٤٦م)، مركز الكتب الأردني، عمّان، ط١، ١٩٩٠م، ج١، ص٧٨، (وسيُشار له فيما بعد هكذا، محافظة، الفكر) وحول مراسلات حسين باشا مع الملك فيصل، انظر: د.محمد خريسات، الأردنيون والقضايا الوطنية والقومية، الجامعة الأردنية، عمّان، ١٩٩١م، ص ص ٢٠٥-٢٠٧، (وسيُشار له فيما بعد هكذا، خريسات، الأردنيون).

٣. مقابلة مع خالد حسين الطراونة اطلعنا فيها على أوراق والده ومذكراته، وسيُشار إليها فيما بعد، (أوراق حسين باشا) د.سعد أبوديّه: في العلاقات العربية العثمانية، ثورة الكرك ١٩١١م، مؤسسة رم للدراسات، عمان، ١٩٩٢م، ص٦٤ (وسيُشار له فيما بعد، أبوديّه، ثورة) منيب الماضي وسليمان الموسى، تاريخ الأردن في القرن العشرين ١٩٠٠-١٩٥٩م، مكتبة المحتسب، عمّان، ط٢، ١٩٨٨م، ص ١٩(وسيُشار له فيما بعد هكذا، الماضي، موسى، تاريخ).

٤. حول نتائج الحركة، أنظر، جريدة المُقتبس، العدد ٥٧٣، دمشق، ١٩١١م، محمد الطراونة تاريخ منطقة البلقاء ومعان والكرك (١٨٦٤-١٩١٨م)، وزارة الثقافة، عمان، ١٩٩٢م، ص ص ٢٩٢-٢٩٣، (وسيُشار له فيما بعد هكذا، الطراونة، تاريخ)؛ الماضي، موسى، تاريخ، ص ١٠.

٥. الطراونة، أوراق حسين باشا.

٦. الطراونة، أوراق حسين باشا ؛ وحول هبّة الكرك في سياق العلاقات العربية التركية، انظر، محمد ماجد السيد، العلاقات العربية - (التركية في بلاد الشام، في

الفترة من ١٨٧٦ - ١٩١٤م) رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمّان، ١٩٨٩م.

٧. جريدة صوت الشعب الأردنية، تاريخ ١٩٨٥/٧/٢٩م ؛ عمر المدني، الآثار الكاملة للملك عبد الله بن الحسين، الدار المتحدة للنشر، بيروت، ط٢، ١٩٨٩م، ص ١٦١، (وسيُشار له فيما بعد هكذا، المدني؛ الآثار).

٨. نص البرقية (مُلحق).

٩. د. محافظة، الفكر، ص٨٧ ؛ وانظر دراسة ميسون عبيدات، التطور السياسي لشرق الأردن في عصر الإمارة، ١٩٢١-١٩٤٦م، لجنة تاريخ بلاد الشام، عمّان، الجامعة الأردنية، ١٩٩٣م.

١٠. قالت جريدة (هاآرتس) "أن الوكالة اليهودية في بيت المقدس أقامت حفلاً في فندق النبي داوود لـ (....) وتبودلت فيه الخطب، وأعرب الشيخان عن رغبتهما في اليهود والجري في بيع الأراضي لليهود" ؛ جريدة الجامعة العربية، العدد ١١١٣، سنة ٧، ١٠ حزيران ١٩٣٣م.

١١. حسين باشا الطراونة، نداء عام للأردنيين، مطبعة بيت المقدس، القدس، ٢٨ حزيران ١٩٣٣م، وسيُشار له فيما بعد هكذا، الطراونة، نداء.

١٢. انظر رسالة حسين باشا، إلى الشيخ علي الصرايرة بتاريخ ١٩٣٣/٨/٢٢م، أوراق حسين باشا.

١٣. الطراونة، أوراق حسين باشا.

١٤. انظر، صورة برقية احتجاج شيوخ جنوب الأردن إلى وزير المُستعمرات البريطاني عام ١٩٢٠م، في جريدة صوت الأردن، أيّار - حزيران ١٩٨٧م.

١٥. انظر نص البرقية من أمين الحسيني (مُلحق).

١٦. يوجد من هذه الأوراق نسخة مُصوّرة محفوظة في خزانة أوراق الأسرات في مكتبة جامعة آل البيت / المفرق:

١٧. الطراونة، أوراق حسين باشا، وثيقة رقم (١)، ٩ جمادى الأولى ١٣٢٨هـ/١٩١٠م.

١٨. الطراونة، أوراق حسين باشا، رسالة رقم (٣)، ١٠ مُحرّم ١٣٣٧هـ/١٩١٨م.

١٩. الطراونة، أوراق حسين باشا، وثيقة صادرة عن حكومة الشرق العربية، نظارة المالية، بتاريخ ٩ كانون الأول ١٩٢٣م.

٢٠. الطراونة، أوراق حسين باشا، رسائل الإشراق، رقم (١)، ١٣ جمادى الأولى ١٣٣٦هـ/١٩١٧م.

٢١. المصدر نفسه.

٢٢. الطراونة، أوراق حسين باشا، رسائل الإشراق، رقم (٢)، ١٩ شعبان ١٣٣٦هـ/١٩١٧م.

٢٣. الطراونة، أوراق حسين باشا، رسالة بتاريخ ٢٧ مُحرّم ١٣٣٧هـ/١٩١٨م.

٢٤. الطراونة، أوراق حسين باشا، رسالة من فيصل بن الحسين بتاريخ ٢٠ مُحرّم ١٣٣٧هـ/١٩١٧م.

٢٥. الطراونة، أوراق حسين باشا، رسائل الشريف علي بن عريد الحارث، الرسالة الأولى ٢٧ ذي الحجة ١٣٣٦هـ/١٩١٦-١٩١٧م، الرسالة الثانية ١٠ ربيع الأول ١٣٣٩هـ/١٩١٩م.

٢٦. الطراونة، أوراق حسين باشا.

٢٧. الطراونة، أوراق حسين باشا.

٢٨. الطراونة، أوراق حسين باشا، ٢ تشرين الثاني ١٩٢٣م.

٢٩. الطراونة، أوراق حسين باشا.

٣٠. الطراونة، أوراق حسين باشا.